

الدرس الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أما بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

١١- [وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا طلحة كان أكثر الأنصار بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله إليه بيړحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيّب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيړحاء ، وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث شئت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَخٍ ؛ ذلك مال رابح قد سمعتُ ما قلتَ فيها وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه " متفق عليه ،

قوله " بيړحاء " : هو موضع بقرب المسجد ، وقيل " حاء " اسم رجل إليه نسب البئر ، واختلف في تقييده فروي بفتح الراء في كل حال وروي بضم الراء في الرفع ، وفتحها في النصب وكسرهما في الجر وقوله " بَخٍ " يقال بالتسكين وبالكسر مع التنوين ، قال الخليل يقال ذلك للشيء إذا رضيته ويقال ليعظم الأمر ،

ويقال مال رابح ، يروى بالباء الموحدة من الربح بالأجر وجزيل الثواب ، أي ذو ربح ، ويروى بالياء المثناة من الرواح عليه بالأجر على الدوام ما بقيت أصوله وثماره ، وقال الهروي : رابح أي ذو ربح ، ومن رواه : رابح أراد أنه قريب الفائدة]

الشرح..

هذا آخر حديث ساقه المصنف الإمام المنذري رحمه الله في كتابه - كفاية المتعبد - في الباب الثالث الذي خصصه في فضائل الصدقة ، يروي هذا الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا طلحة كان أكثر الأنصار مالاً وأبو طلحة رضي الله عنه هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس بن مالك رضي الله عنه

قال أنس رضي الله عنه [أن أبا طلحة كان أكثر الأنصار في المدينة مالاً وكان أحب أمواله إليه بئرحاء]

و بئرحاء هو بستان كان في الجهة التي قبالة المسجد أي في قبلة المسجد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها ، - وجاء في رواية في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل فيها - ، وأخذ العلماء رحمهم الله من ذلك جواز قصد البستان للراحة فيه و الاستئصال وقضاء شيء من الوقت تحت ظل الشجر وفي داخله وكذلك أخذ منه العلماء إباحة استعذاب الماء وطلب الماء العذب الطيب لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ،

وذكر أنس رضي الله عنه لدخول النبي صلى الله عليه وسلم وكونه يستظل فيها ويشرب من مائه الطيب كل ذلك من أجل بيان القيمة العظيمة لهذا البستان والمكانة العلية للبستان عند صاحبه أبي طلحة ، ومن مكانة هذا البستان العظيمة أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخله ويشرب من مائه الطيب فكان البستان أحب أموال أبا طلحة رضي الله عنه إليه

قال أنس [فلما نزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحِبُّون﴾]

المطلوب من الآية بيّن وهو أن ينفق الانسان مما يحب وأن لا يتيمم الخبيث فينفق منه أو ما لا يحب ، فالمطلوب من الآية بيّن

﴿لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحِبُّون﴾ أي مما تحبه نفوسكم من أموالكم وترغب فيه وتحرص على بقاءه

قال ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحِبُّون﴾ أي لن تنالوا حقيقة البرّ وتمامه حتى تكونوا بهذا الوصف تنفقوا مما تحبون ، فالمطلوب في الآية مما يُنال به البر أن ينفق المرء مما يحب ، لكن

أبا طلحة رضي الله عنه أراد لنفسه درجة أعلى ؛ فالمطلوب أن ينفق مما يحب ، فأنفق رضي الله عنه أحبَّ المحبوب ؛ فارتقى إلى درجة أعلى في سخاء نفسه وبذل المال فلما نزلت الآية ﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تُحِبُّون ﴾

لم يقتصر على انفاق المحبوب من ماله وإنما أنفق أحب ماله إليه

قال [قام أبا طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تُحِبُّون ﴾ وإن أحب أموالي إلي بئرحاء وإِنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله تعالى]

" أحب أموالي بئرحاء " اختار الأحب - لم يقتصر على المحبوب - فأخرجها صدقةً في سبيل الله سخيّة بها نفسه رضي الله عنه

" وإِنها صدقةٌ لله " هذا فيه أن الصدقة كغيرها من العبادات لا بد فيها من قصد التقرب إلى الله وطلب مرضاته حتى تدخل هذه الصدقة في صالح العمل لأنه لا يدخل في صالح عمل العبد إلا ما قصد به التقرب إلى الله وطلب ثوابه ورضاه سبحانه وتعالى

ثم قال " أرجو " أي بإخراجها

" برّها وذخرها " برّها : أي خيرها وبركة هذه الصدقة وهذه النفقة

" وذخرها " أي أدّخر مثوبتها أجراً يوم ألقى الله

" أرجو برّها وخيرها عند الله تعالى " يعني يريد على هذا الإخراج لهذه البر في سبيله وطلب مرضاته الثواب يوم القيامة يوم ألقى الله

قال [فضعها يا رسول الله حيث شئت]

فَوَضَّ أمر السبيل الذي تُصرف فيه هذه البستان التي تصدق بها إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

قال [يخ ذلك مالٌ رابح]

"بخ" هذه كلمة تقال عند الرضى في الأمر والثناء على العمل والمدح على الصنيع، قال ذاك مالٌ رابح .. ذاك مال رابح .. كررها عليه الصلاة والسلام مرتين للتأكيد " ذاك مال رابح " أي ربح صاحبه في الدنيا والآخرة ، وكان ماله ربحاً له وذخراً له يوم يلقي الله فبهى التجارة الراجعة ﴿ هَلْ أَذُكُّم عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

و قصرت أنظار أكثر الخلق في الربح بالتجارة على الأرباح الدنيوية وغاب عن أكثرهم مثل هذا الربح العظيم والغنيمة العظيمة التي يحصلها المرء في الدنيا والآخرة

قال [ذاك مال رابح ذاك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها]

يعني قد سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال أبو طلحة رضي الله عنه في بستانه من مكانتها العظيمة في نفسه ومنزلتها وأنها أحب أمواله إليه وأنه أخرجها طيبة بما نفسه في سبيل الله وطلب مرضاته جل وعلا

قال " وإني أرى أن تجعلها في الأقربين "

أي تجعلها في قرابتك حتى تكون جامعةً بين الصدقة والصلة

فيجمع في هذا الصنيع بين الحُسنيين ؛ صلة الأرحام والقربة وهم أحقّ بالمعروف وأولى به وتكون في الوقت نفسه صدقة ، وهي في الأقربين أولى وهم أحق بالمعروف

وجاء في رواية عند البخاري قال : " قَبِلْتُهَا مِنْكَ وَرَدَدْتُهَا عَلَيْكَ " وأراد بقوله " رددتها عليك " أي أن تجعلها في قرابتك الذين هم أحق الناس بالمعروف

قال [فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه]

أي امثل لما أرشده إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء في سنن أبي داود قال " فقسّمها بين حسان بن ثابت وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما " ويلتقي مع حسان بن ثابت في الجد الثالث ويلتقي مع أبيّ في الجد السادس

قال " قوله : بيرحاء " : هو موضع بقرب المسجد ، وقيل " حاء " اسم رجل إليه نُسب البئر ، واختلف في تقييده فُرُوي بفتح الراء في كل حال وُرُوي بضم الراء في الرفع ، وفتحها في النصب وكسرها في الجر "

يعني البستان الذي أخرجه رضي الله عنه يسمى بيرحاء ، وبَيَّن المصنف رحمه الله أنه موضع قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبلة المسجد

قال [" بخ " يقال بالتسكين وبالكسر مع التنوين]

يقال بالتسكين يعني " بخ " ، وبالكسر مع التنوين يعني " بخ "

قال [قال الخليل : يقال ذلك للشيء إذا رضيته ويقال ليعظم الأمر]

يعني يقال في مقام الرضا عن الصنيع ومدح لفاعله والثناء على الفعل ويقال لإعظام الأمر إشارة إلى عظمة الأمر وأنه أمر عظيم مثل قوله صلى الله عليه وسلم في مقام إعظام الأمر " بخ بخ خمس " ما أثقلهن في الميزان سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد يتوفى للعبد الصالح فيحتسبه عند الله جل وعلا "

قال [وقوله مال رابح يروى بالباء الموحدة من الريح بالأجر وجزيل الثواب ، أي ذو ربح ، ويروى بالياء المثناة]

" ويروى بالياء المثناة " يعني مالٌ رايح

قال [من الرواح عليه بالأجر على الدوام ما بقيت أصوله وثماره]

أي رايحٌ عليك نفعه ، مال رايح أي رايح عليك أجره على الدوام وبشكل مستمر ، قال [وقال الهَرَوِي : رايح أي ذو ربح ، ومن رواه : رايح أراد أنه قريب الفائدة] وبهذا انتهى ما أورده المصنف رحمه الله من أحاديث تتعلق بفضائل الصدقة وبقي من هذا الكتاب الباب الرابع في الدعاء والذكر .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما علّمنا ويزيدنا علما وأن يصلح لنا شأننا كلّ
ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأَتُوبُ إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.